قراءة

وفيق سليطين في وجه الهويات المغلَقة

بدائل للانغلاق ومعاداة الآخر

في «في نقد الانغلاق الخصوصي»، الصادر حديثاً، يُضيء الباحث والشاعر السوري على علاقة الشرق بالغرب، ومآلات الربيع العربي، ثمّ الخصوصية التي يُقاربها من زاويتين: العلاقة مع الآخر، وتمثّلات الأنا التي تعكس ردّة على ما قاسته الثقافة العربية

سومر شحادة

يتناول الشاعر والباحث السوري وفيق سليطين بالنقد والتحليل، في كتابه «في نقد الانغلاق الخصوصي»، عدداً من الأعمال التي عُنيت بفكر الخصوصية، لا سيما تلك التي تستخدم الآخر لتأكيد الأنا، أو لتنفيها. كذلك في الكتاب الصادر حديثاً عن «دار فواصل» نقدٌ لشتّى دعوات القطيعة مع الماضي، وبالمثل لدعوات السُّبات فيه. ويأتي الكتاب في أزمنة تشهدُ تنامي خطاب التشدّد وتناحر الهويات المُغلقة على ذاتها.

يقعُ الكتاب بأقسامه الثمانية على ثلاث أفكار جوهرية، تتوزّعُ بين فصلٍ وآخر، أوّلها العلاقة التي تحكم الشرق مع الغرب وذلك عبر عودة سليطين إلى فرانسيس مرّاش وإدوارد سعيد، وثانيها تفسير مآل الربيع العربي، متّخذاً من نقد فكر كلّ من الأكاديمي برهان غليون والشاعر أدونيس مدخلاً لتفسير نكوص الآمال الكبرى، ثمّ في النهاية يتحدّث في نظرية الخصوصية، ويحدّد بالضبط أينَ يصبحُ النداء بفكر الخصوصية نداءً ساقماً. في ما يخصّ الجانب الذي يعالجُ فيه خطاب الخصوصية، لا نظريتها، فإنّ المؤلّف يحتكم إلى علاقتين: العلاقة مع الآخر، وتمثّلات الأنا التي تُظهر ردّةً على ما قاستهُ الثقافة العربية، من جرّاء الاستبداد السياسي والديني الذي وسم لعهود طويلة وأقعَ هذه الثقافة، بذلك يحلّل سليطين أشكالاً عديدة من السلطات، لربما أكثرها إثراءً لموضوعه هي سلطة النّص.

يعتبر سليطين أنّ الموقف من الغرب احتُزل في اتجاهين: إمّا اتّباعاً للغرب أو انقطاعاً عنه. الأمر الذي غيّب الموقف النقدي بين قطبين متباعدين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي ويعود في مواقع عديدة من كتابه إلى نقد الثنائيات الحادّة، لا في العلاقة مع الغرب وحسب، وإنّما بين مكوّنات الثقافة الواحدة.

وفي ما يخصّ العلاقة مع الغرب فإنّه يذكّرنا بثنائيات فرانسيس مرّاش (1836 - 1873) الذي رأى الذات «على هدي مصباح الآخر»، بذلك اقترن الجهل والتخلّف والاستبداد بالشرق فيما اقترن العلم والتنوير والتمدّن بالغرب. اعتُبر الغرب في الخطاب النهضوي العربي هو «المثال»، وكان التنوير بالنسبة إلى عددٍ من النهضويين إحلالاً للغرب مكان الشرق. الأمر المتعذّر بصورة عملية لأنّه قولٌ يتجاوز البنى الاستعمارية التي تعيقُ تقدّم المجتمع وتالوؤهُ بقيم التنوير. لكن المرّاش يعود ويميّز بين الغرب الاستعماري والغرب الأنواري، وإذ يعزي الوجه الاستعماري، الذي يقاسم العرب، بالتوسّع والنهب، المسؤولية عن التخلف، فإنّه يدعو إلى الاقتداء بالوجه العلمي الذي للغرب.

وعبر هذا الفصل لوجهي الغرب، فإنّ مرّاش يكشف نزعة التمركز والإقصاء التي للغرب، ويعيد القطبين إلى شروطهما التاريخية، لا إلى طبيعة أبدية؛ لشرقٍ يستمرئ العبودية وغرب يصبو إلى الحرية. على الضوء نفسه؛ يقرأ سليطين فكر إدوارد سعيد الذي ردّ للغرب بعضاً من رؤيته التي ألقاها على الشرق في مقولات مثل الإرهاب والأصولية الإسلامية، وقد رأى سعيد أنّ «التنميط السردي» الذي قرأ الغربُ من خلاله الشرق هو تسويغٌ للعدوان عليه مثل حرب العراق، وذريعةٌ لاستمرار البنى الاستعمارية. لكن لا يفوت سليطين التأكيد على ضرورة البناء الذاتي في وجهٍ من يسوّغ، من خلال نظرية المؤامرة، آليات الإفساد المحلي داخل البلدان.

يستندُ سليطين في قراءته لأنا إلى محدّدات الهوية الثقافية، بدءاً باستخدامات النص، وتفسير ظواهر التشدّد، كما أنّه يُقاطعُ مقولات عدد من المفكرين والباحثين من أمثال سمير أمين ونصر حامد أبي زيد وعلي حرب، ليتوصّل إلى استنتاج مفادهُ أنّ سلطة النّص السياسية والاجتماعية تجيء من الجماعة التي تتبنّى النّص، وذلك عن طريق اقتطاعه من سياقاته التاريخية، ليتمادّى النّص على التاريخ برمّته، ويصبح ثابتاً هو دنيوي، ويصبحُ التقدّم ـ بعدما صار النص الديني مرجعيّة لشؤون الحياة التي لا تتوقف عن التطوّر والتعقيد ـ عوداً إلى الماضي. كذلك ربدن الأحزاب الشمولية التي يصوّرها سليطين على أنّها «أديان بديلة»؛ عندما يصبح كلام «الزعيم» جزءاً من المُقدّس النظري.

يمكن انطلاقاً من إحكام جماعات تحتكم إلى لحظة ثابتة في الماضي، فهم المدخل الذي يعتمدهُ سليطين في نقد فكر كلّ من برهان غليون وأدونيس في مسائل الهوية، وقراءتهما لنكوص الربيع العربي، إذ ينطلق غليون في أعماله على قاعدة الاغتصاب «الذاتية» بقصر الحداثة والعلمانية على الأقلية فيما يقصر الأصالة والعقيدة على الأغلبية» بالتالي كانت الثورة ضد «الدولة الاستعبادية» عودة إلى «مؤسّسة الدين». يوضّح سليطين أنّ هذه الرؤية تفتقد إلى تفكيك البنى السلطوية، والصراع الذي توجّب خوضهُ ضد السلطة التي تستولي على المفاهيم، وتولّدها، كان سعياً إلى «الاعتصام بالأصل» والاكتفاء بهِ. كذلك ينطلق أدونيس في تفسيره للربيع العربي من عقدة الانشقاق التي تتّصف بها الذات العربية في ماهيّتها، وهي رغبة بالانشقاق عن الحَكَم لا ترمي إلى إحداث تغيير في المجتمع الذي يشكّل الدين، بحسب أدونيس، جوهرة الثّابت المُقدّس. يعود أدونيس إلى «أصل تكويني» ثابت في الذات العربية، ويقفزُ عن محدّدات الواقع المتغيرة، ويفسرُ الثورة بـ«الهيام»، وبذلك يفصل السلطة عن المجتمع فصلاً يكاد يكون تامّاً، ويتجاهلُ التفاعل الدائم بينهما.

يتلخّص جهد سليطين في مجمل نقدهِ لفكر الخصوصية في محاولة دفع الخصوصية إلى حيز الإسهام الحضاري والإنساني. فالخصوصيات بما تتضمنهُ من تمايزات قومية وثقافية، ينبغي أن تدخل في نطاق أشمل وأكثر عمومية. ويمكن لما يميّز ثقافةً عن أخرى، أن يصير مجالاً للتفاعل والتغيّر والنمو والإضافة، بدلاً من الانغلاق والثبات ومعاداة الآخر، أو تقييد الذات في صورة ثابتة تبدو خارج الزمن.

اختُزل الموقف من الغرب في اتّباعه أو الانقطاع عنه

ينتقد الثنائيات الحادّة بين مكوّنات الثقافة الواحدة

لكلّ الأزمان، حالَ النّص الديني في تأويل جماعات بعينها على أساس رغباتها. بذلك تزوي السلطة المعرفية للنّص، أمام سلطته السياسية الإيديولوجية، وعوضاً عن الانفتاح والتطور يسودُ الانغلاق. ومن خلال الاستخدام الوظيفي للنصوص تسيغ جماعة على ما هو ديني، سمات ما يطعام أنفسهم وذويهم، وعندما أرخوا هذه المأساة في قصائد خالدة.

أمّا الجوّ المعنوي فهو محفّز حقيقي على الإبداع، بل إنّ أغلب الأعمال الإبداعية المهمة كُتبت من وحي الحرمان والمآكل الداخلي، ومن مرارة الغربة عندما وجد صنّاع الأفكار والوجدان أنفسهم مبعثرين في عواصم البرد، وهاربين من كرابيج الحكّام وغياب الهواء النظيف في بلدانهم الأصلية. وبالمقابل أرغمت الظروف كتّاباً وشعراء آخرين على مواصلة الحياة داخل أوطانهم، والاحتيال على الرقيب باللغة والرمز لفضح بشاعة الأنظمة وضالة منسوب الحرية واتساع رقعة البقع السوداء، مراهنين على قارئ نخبوي في مجتمعات تعاني من الأمية، رغم أنّ أغلبهم لا يساير جرأة الواقع وفداحته، وظل متردّداً في صياغة الوجدان الشعبي والوطني بسبب مؤسّسة الأسرة المنغلقة على نفسها ونظام العوائل وسطوة التقاليد، ما فوّت على القرّاء فرصة التعرّف على العوامل الدفاعيّة الذي أفرزت هذه الأعمال الأدبيّة، في الوقت الذي تظل أغلب سير الأدباء المكتوبة مترجمة بين الحقيقة والتزييف، وفي منأى عن ميثاق الصدق.

في الحالة العربيّة، هناك الكثير من الأنظمة التي زجّت بأدبائها ومفكّريها في السّجون وجوّعتهم على مدى عقود، وذلك في سعي خائب لقبر الصوت المضاد، ومع ذلك لم تستطع أن تُخرسهم بالمرّة، بل إنّ تجربة السّجن والجوع قوّت صوت هؤلاء وحفّزتهم على كتابة أعمال مهمّة طلعت من وحي الألم والمعاناة حتّى صرنا نتحدّث عن «روايات السجون» و«شعر السجون».

خطورة الجوع لا تقل عن خطورة القنبلة النووية وباقي الأسلحة الفتّاكة، وبالمناسبة ما الذي أوقد عود ثقاب، وأشعل ثورات الربيع العربي غير الشعور بالجوع؟ ومن الذي أرغم حمّاماً عربياً على التحليق ليلاً بالطائرة واللجوء إلى بلدان مجاورة، وآخرين على هروب فاشل في الصحراء انتهى بمقتلهم في مشاهد فظيعة؟ إنهم الجيّاع النبلاء، والذين من وحي ردود أفعالهم بدأت تظهر أعمالٌ أدبيّة عربية تنطق بهموم الشعوب وتطلعاتها. وتوفّر فنيّاً وسردياً للجوع وللمعدة الفارغة إن صحّ التعبير، وذلك في تأشير واضح على قدرة الكاتب الحقيقي على الكتابة في جميع الظروف والشروط متعالياً على رفاهية الكسل.

(كاتب من المغرب)

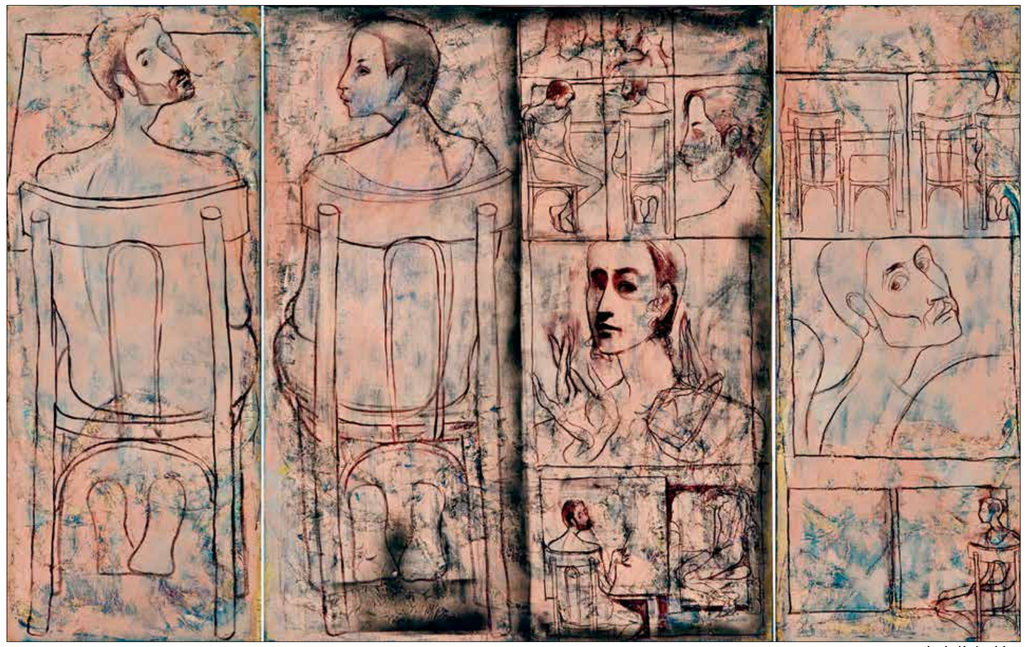

عمل لـ صفوان داحول

بطاقة

وفيق سليطين، شاعرٌ وأكاديمي سوري من مواليد 1961. من كتبه التحديّة: «الشعر الصوفي بين مفهومي الانفصال والتوحد (1995)، و«الزمن الابدي» (1997)، و«الكتابة السالبة من الطابعة الى الحوار» (2006)، و«الشعر والتصوُّف» (2008)، و«غواية الاستحداث: النص القديم في افق القراءة المعاصرة» (2009). ومن مجموعاته الشعرية: «اسفار الكائن الحبي» (1991)، و«حافيا الّا من هذا الحب» (1996) و«كما لست انت» (2010).

إطلالة

حيث لا ورود ولا أشجار ولا قمر ولا نجوم

الكتابة على معدة فارغة

ما الذي أشعل ثورات الربيع العربي غير الجوع؟ ومن الذي ارغم حكّاماً عرباً على الهرب ليلاً بالطائرة، وآخرين على هروب فاشل انتهى بمقتلهم؟

حسن بولهويشات

الجوع درجات ورُتبٌ مثله مثل سلّم الوظيفة العموميّة. وأخطر درجاته هو انعدام الطعام وارتقاب الموت، وفي هذه الحالة ننتظر من الجيّاع أسوأ ردود الفعل. وننتظر من الكتّاب والشعراء، وهو موضوع هذه السطور، كلّ شيء إلّا أن يشخذوا أقلامهم ومخيّلتهم صوب الورود والأشجار وزقزقة العصافير، ويكتبوا عن القمر والنجوم. ولنا في شعر عروة بن الورد والسليك بن عمير وآخرين من الشعراء الصعاليك أحسن نموذج في التراث الشعري العربي، والذي يصوّر بصدق مأساة الجوع في الصحراء وردود فعل الشعراء عندما حملوا السيوف وخرجوا يعترضون طُرق القوافل من أجل

«بلاد السواد»، ضياء العزاوي، مواد مختلفة على ورق، 456 × 330 سم

وقفة مع

نهى زعرب قعوار

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة حول انشغالاته وبعض ما يودّ مشاطرته قرّاءه

الناصرة ـ **العربي الجديد**

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

الكثير من الأسئلة تشغل بالي في هذه الأيام، أولها قضيتنا نحن العرب الفلسطينيين الذين لم نغادر البلاد وانقطاعنا عن الدول العربية ومن غادر ولجأ من الأقارب، وانعدام التبادل الفكري والثقافي بيننا.

أما في الوقت الحاضر، فما يشغل بالي وبال العالم أجمع هو المعاناة الجماعية محلياً وعالمياً من وباء كورونا الذي استفحل أمره، وهذا ما أثار الرعب في قلبي من انهيار قدراتي وعدم قيامي بواجب كتاباتي، وتوقّف «صالون نهى زعرب قعوار» الأدبي عن لقاءاته.

■ ما هو آخر عمل صدر لكِ، وما هو عملك القادم؟

آخر عمل كبير صدر لي هو مجلّد «تاريخ الناصرة» (668 صفحة)، وهو كتاب لم يكتب مثله بعد، كما جاء في نقد الكتّاب والجامعات عنه، وهو يترجم الآن إلى اللغة الألمانية. كتبت أيضاً عن حرب العراق (لم يطبع بعد)، وكتبتُ سيرتي الذاتية، وقصتين قصيرتين، و«حكايا السباط»، وكتاب شعر سميته «معزوفة الكلمات»، وسبعة كتب للأطفال، وجميعها لم تطبع بعد.

■ هل أنت راضية عن إنتاجك، ولماذا؟

أنا أكثر من راضية عن كل أعمالي التي حازت على شهرة كبيرة، وخصوصاً «تاريخ الناصرة»، الذي أخذ مني الجهد الكبير خلال ثمانية عشر عاماً من الأبحاث، ويطلب الآن في أرجاء مختلفة من العالم، وتقوم إحدى المؤسسات في ألمانيا بترجمته للغة الألمانية بعد دراسته لما فيه من صور قديمة ومعلومات قيّمة تنشر لأول مرة. كما أنّني راضية عن كتب أشعاري التي وثّقت فيها أحداث الانتفاضة، وراضية أيضاً عن كتب الأطفال التي طبعتها، وحاز بعضها على المرتبة الأولى لأدب الأطفال في البلاد.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختارين؟

لو قيّض لي البدء من جديد، كنت سأكتب وأكتب وأقرأ فهذه هوايتي المفضلة منذ الصغر والتي لا أملّ منها، وقد كان أيضاً في داخلي شوق كبير للعمل السياسي ولكن ليس هنا.

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟

أتمنّى أن يعمّ السلام في بلادنا وفي جميع أرجاء العالم، وأتمنى أن تُحل قضية اللاجئين في كلّ المنطقة حولنا لنعيش بسلام وأمان بعيداً عن الحروب والدماء. وأتمنى رحيل كورونا من جميع أرجاء العالم، كما أتمنّى حصول المثقفين والشعراء والكتّاب العرب على المراتب التي تليق بهم من بلادهم وليس من دول أجنبية.

■ شخصية من الماضي تودين لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

أتمنى أن ترجع بي الأيام إلى الوراء لألتقي بوالدي الذي زرع فينا حبّ المطالعة والكتابة والشعر، الذي كان ينظمه ويترجم بعض الأشعار من اللغة الإنكليزية، وكان يتحفنا بأمّهات الكتب والتراجم العالمية ويشجّعنا على قراءتها. كما أتمنى لقاء والدتي القارئة الممتازة لدرجة أنّ والدي أهداها صورة عالميّة اسمها القارئة.

■ صديق يخطر في بالك أو كتاب تعودين إليه دائماً؟

الصديق الأقرب إلى قلبي والذي كان يشبهني بهواياته، هو خالي نصرات سليم قعوار، والذي كان يتحفني بزياراته اليومية التي كنا نبحث بها كلّ الأحداث اليومية والفكرية.

في بعض الأحيان، أعود إلى كتابات زوجي، الذي كان مديراً لإحدى المدارس، والتي كان يكتبها بخط يده. هي قصص قديمة كان يحسن سردها، فطلبت منه تسجيلها فسجلها بخط يده.

بطاقة

كاتبة وباحثة فلسطينية وُلدت في مدينة الناصرة عام 1936. حازت درجة البكالوريوس في علوم اللاهوت والفلسفة وعلم النفس. أصدرت عدّة مجموعات شعرية منها «هتاف الكبرياء»، «وهج اليراع»، ومسرحية شعرية بعنوان «شجرة المجد». وكتباً للأطفال منها «النسر الأسود» و«الشارع الغاضب» و«العين الماسية» و«ليلة عيد»، إلى جانب كتابها «تاريخ الناصرة» الذي يروي ماضي المدينة منذ العصور القديمة وصولاً إلى الاحتلال الصهيوني.

امرؤ القيس كان شاعرا بصريّا برؤية سينمائية قبل الأوان

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

نهى زعرب قعوار

فعاليات

ضمن العدد الثاني من سلسلة **متن: حوارات حول الأدب** الشهرية، تستضيف مبادرة **اتجاهات ـ ثقافة مستقلّة**، عند السابعة من مساء الواحد والعشرين من الشهر الجاري، الكاتب السوري عدي الزعبي عبر «زوم»، لمناقشة مجموعته القصصية «كتاب الحكمة والسذاجة» الصادرة في 2019. تُدير الحوار الكاتبة السورية سمر يزبك.

تحت عنوان **تأثير جائحة كوفيد-19 على الوضع الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين وفي المخيّمات الفلسطينية**، تُقيم **مؤسّسة الدراسات الفلسطينية**، عند الثالثة من بعد ظهر اليوم، ندوةً رقميةً عبر تطبيق «زوم» تُضيء على أوضاع الفلسطينيّين في ظلّ انتشار الوباء واستمرار عدوانية الاحتلال الإسرائيلي. يُشارك في الندوة: بدر الاعرج، وناصر ابو العطا، وايهم السهلي (الصورة).

كيف نتعامل مع المصطلحات والمفاهيم الجندرية في وسائل الإعلام؟، عنوان ندوةٍ رقمية تُقيمها شبكة **اريج**، عند الثانية من بعد ظهر اليوم، عبر منصّة «زوم»، وفيها تتناول الأكاديمية ربى الحلو كيفية استخدام المصطلحات المتعلقة بالنوع الاجتماعي في سياق لغوي مناسب، وترجمتها من دون ان تفقد دقّة معانيها.

حتى الواحد والثلاثين من الشهر المقبل، يتواصل في «غاليري دولاكروا» بمدينة طنجة المغربية معرض **غياب وحضور** للتشكيلي المغربي **محمد باعلا** (1986)، والذي يضمّ مجموعةً من أعماله التي يمزج في بعضها بين عددٍ من الأنماط الفنية؛ مثل الغرافيتي والنحت والملصقات والتصوير الفوتوغرافي.